المبحث الأول

القضاء والقدر في اللغة والشرع

أولاً: القضاء والقدر لغة وشرعاً:

1 ـ **معنى القضاء لغة**: إحكام أمر وإتقانه وإنفاذه لجهته[1]، وقال ابن الأثير في النهاية: القضاء في اللغة على وجوه مرجعها إلى انقطاع الشيء وتمامه. فمعنى القضاء في اللغة هو إحكام الشيء، وإتمام الأمر، وهذا هو معنى القضاء، وإليه ترجع جميع معاني القضاء الواردة في اللغة، وقد يأتي بمعنى القدر[2].

وقد ورد لفظ القضاء ومشتقاته كثيراً في القرآن الكريم، وكل معانيه التي قد تأتي متداخلة أحياناً ترجع إلى الأصل السابق، فمن المعاني التي ورد بها:

ـ **معنى الأمر**: قال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسرَاء: 23] أي: أمر ﷻ بعبادته وحده لا شريك له[3].

ـ **معنى الإنهاء**: ومنه قوله تعالى: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ﴾

---

(1) معجم مقاييس اللغة لابن فارس (5 / 99).
(2) مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني، ص: 422.
(3) تفسير الطبري (15 / 62)، القضاء والقدر د. المحمود، ص: 34.

[الحِجر: 66] أي: تقدمنا إليه وأنهينا[1].

- **معنى الحكم**: قال تعالى: ﴿فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ﴾ [طه: 72] أي: اصنع واحكم وافعل ما شئت وما وصلت إليه يدك[2].

- **معنى الفراغ**: ومنه قوله تعالى: ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ﴾ [فُصِّلَت: 12] أي: فرغ من تسويتهن سبع سماوات في يومين[3]، ومنه قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ﴾ [القَصَص: 29] أي: فرغ من الأجل الأوفى والأتم[4].

- **معنى الأداء**: ومنه قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ﴾ [البَقَرَة: 200] أي: أديتموها وفرغتم منها[5].

- **معنى الإعلام**: ومنه قوله تعالى: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الإسرَاء: 4] أي: تقدمنا وأخبرنا بني إسرائيل في الكتاب الذي أنزل إليهم أنهم يفسدون في الأرض مرتين[6].

- **معنى الموت**: يقال: ضربه فقضى عليه، أي: قتله[7]، قال تعالى: ﴿فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ﴾ [القَصَص: 15] أي: مات[8].

---

(1) زاد المسير لابن الجوزي (4 / 407)، القضاء والقدر، ص: 43.
(2) تفسير ابن كثير (5 / 298)، القضاء والقدر د. عبد الرحمن المحمود، ص: 43 فيه تفصيل.
(3) تفسير الطبري (24 / 99)، ابن كثير (7 / 156).
(4) معالم التنزيل للبغوي (5 / 172).
(5) تفسير الطبري (2 / 295)، القضاء والقدر للمحمود، ص: 35.
(6) تفسير الطبري (15 / 20. 21).
(7) لسان العرب (5 / 187)، القضاء والقدر للمحمود، ص: 35.
(8) القضاء والقدر للمحمود، ص: 35.

ـ وهناك اشتقاقات أخرى ذكرتها كتب اللغة[1]، ومن خلال عرض هذه المعاني يتبين ما بين المعنى اللغوي والمعنى الشرعي من رابط قوي، فتقدير الله للأمور وكتابته لذلك، وكونها تجري بحكمة ودقة على حسب ما أرادها سبحانه وقضاها كل هذه المعاني يوحي بها المعنى اللغوي بمختلف معانيه الورادة[2].

2 ـ القدر لغة: فالقاف والدال والراء أصل صحيح يدل على مبلغ الشيء وكنهه ونهايته[3]. ويطلق القدر على الحكم والقضاء أيضاً ومن ذلك حديث الاستخارة «**فاقْدُرْه ويسّره لي**»[4].

والقدَر بتحريك الدال أو تسكينها معناه الطاقة قال تعالى: ﴿وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ﴾ [البقرة:236]: طاقته.

ويأتي أيضاً القدر بمعنى التضييق، قال تعالى: ﴿وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ﴾ [الفجر: 16]. يعني فضيق عليه، ومنه قوله تعالى في حق نبيه يونس عليه السلام: ﴿فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ [الأنبيَاء: 87] أي: لن نضيق عليه، وليس كما ظن بعض الناس أن يونس عليه السلام شك في قدرة الله، كلا[5].

وقدرت الشيء أقدره من التقدير، ومنه الحديث: «**فإن غم**

(1) الصحاح للجوهري (6 / 2463)، تاج العروس (10 / 396).
(2) القضاء والقدر، ص: 36.
(3) الصحاح للجوهري (2 / 286)، معجم مقاييس اللغة (5 / 62).
(4) البخاري، ك التهجد رقم 1166.
(5) الإيمان بالقضاء والقدر محمد حسان، ص: 40.

عليكم فأقدروا له»[1]. أي قدروا له عدد الشهر حتى تكملوه ثلاثين يوماً، وقيل: قدروا له منازل القمر، فإنه يدلكم على أن الشهر تسع وعشرون أم ثلاثون[2].

وقدر كل شيء ومقداره: مقياسه، يقال: قدره به قدراً إذا قاسه، والقدر من الرحال والسروج: الوسط[3].

ويتبين لنا من التعريف اللغوي للقضاء والقدر: أن رابطاً قوياً جداً بينهما وبين التأصيل اللغوي والشرعي كذلك[4].

3 . المعنى الشرعي للقضاء والقدر:

هو تقدير الله تعالى الأشياء في القدم، وعلمه . سبحانه . أنها ستقع في أوقات معلومة عنده، وعلى صفات مخصوصة وكتابته سبحانه لذلك ومشيئته لها ووقوعها على حسب ما قدرها جلّ وعلا وخلقه لها[5].

ومراتب القدر أربع، كما هو ظاهر في التعريف:

- العلم.
- الكتابة.

---

(1) البخاري، ك الصوم رقم 1906.
(2) النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير (4/ 23).
(3) ترتيب القاموس المحيط (3 / 570).
(4) الإيمان بالقضاء والقدر محمد حسان، ص: 40.
(5) شفاء العليل لابن القيم، ص: 29 ، القضاء والقدر للمحمود، ص: 40.

- المشيئة.

- الخلق والتكوين[1].

4 - الفرق بين القضاء والقدر:

من أهل العلم من قال: لا فرق بين القضاء والقدر، فكل منهما يدخل في معنى الآخر، فإذا أطلق التعريف على أحدهما فيشمل الآخر بمعنى: إذا أطلق التعريف على القضاء، فإنه يشمل القدر، وإذا أطلق التعريف على القدر فإنه يشمل القضاء.

والفرق قال آخرون: لا، هناك فرق بين القضاء والقدر، فالقضاء: هو الحكم بالكليات على سبيل الإجمال في الأزل.

أما القدر: فهو الحكم في وقوع الجزئيات لهذه الكليات التي قُدّرت في الأزل، فالقضاء أشمل وأعم من القدر.

ومنهم من قال: بأن القدر: هو التقدير، والقضاء، هو التفصيل بمعنى: أن القدر: هو التقدير القديم الأزلي، والقضاء: هو التفصيل لهذا القدر الكلي في أوقات معلومة بمشيئة الله تبارك وتعالى على الكيفية التي أرادها أو خلقها ﷻ[2].

فالقضاء والقدر لفظان متباينان إن اجتمعا، ومترادفان إن افترقا، يعني: إذا افترقا اجتمعا، وإذا اجتمعا افترقا بمعنى: إذا ذكر القضاء والقدر معاً، فالمعنى لكل مفردة منهما واحد، وإذا أفرد اللفظان صار

(1) القضاء والقدر، ص: 41، للمحمود.
(2) الإيمان بالقضاء والقدر، محمد حسان، ص: 41.

لكل مفردة منهما معنى يختلف عن معنى الآخر. فالتقدير: هو ما قدره الله ﷻ في الأزل أن يكون في خلقه التقدير، وعلى هذا يكون التقدير سابقاً على القضاء، وأما القضاء إذا ذكر مع القدر فكلاهما معنى واحد مشترك، ويرى الخطابي: أن القضاء والقدر أمران لا ينفك أحدهما عن الآخر، لأن أحدهما بمنزلة الأساس والآخر بمنزلة البناء، فمن رام الفصل بينهما فقد رام هدم البناء ونقضه[1].

والله أعلم أنه لا فرق بين القضاء والقدر، والذين قالوا بالتفريق بين القضاء والقدر لغة واصطلاحاً لا دليل لديهم من السنة الصحيحة، لا سيما وقد اتفقوا جميعاً على أنه إذا أطلق لفظ من هذين اللفظين فإنه يشمل الآخر[2].

ثانياً: أدلة القرآن على وجوب الإيمان بالقدر:

وردت في كتاب الله تعالى آيات تدل على أن الأمور تجري بقدر الله تعالى، وعلى أن الله تعالى علم الأشياء وقدرها في الأزل، وأنها ستقع على وفق ما قدرها ﷻ[3].

1 ـ قال تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾ [القمر: 49] قدر الله كل شيء في الأزل وكتبه سبحانه.

2 ـ وقوله تعالى: ﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ

(1) المسائل العقدية التي حكى فيها الإجماع، ابن تيمية، ص: 810، معالم السنن (5 / 77).
(2) الإيمان بالقضاء والقدر، محمد حسان، ص: 42.
(3) القضاء والقدر د. المحمود، ص: 50.

﴿ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ [الأحزاب: 38] . أي قضاءً مقضياً، وحكماً مبتوتاً وهو كظل ظليل، وليل أليل، وروض أريض في قصد التأكيد[1].

3 ـ وقوله تعالى: ﴿فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِيٓ أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ﴾ [طه: 40] ، أي أنه جاء موافقاً لقدر الله تعالى وإرادته على غير ميعاد[2].

4 ـ وقوله تعالى: ﴿فَجَعَلْنَٰهُ فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿٢١﴾ إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢٢﴾ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [المرسلات: 21 ـ 23]. أي جعلنا الماء في مقر يتمكن فيه وهو الرحم، مؤجلاً إلى قدر معلوم قد علمه الله ﷻ وحكم به، فقدرنا على ذلك تقديراً فنعم القادرون نحن، أو: فقدرنا ذلك تقديراً فنعم المقدرون له نحن على قراءتين[3]، والقراءة الثانية ﴿قَدَّرْنَآ﴾ [الحجر: 60] بالتشديد توافق قوله تعالى: ﴿مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ﴿١٩﴾﴾ [عَبَسَ: 19] .

5 ـ وقال تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾ [الفُرقان: 2]: أي كل شيءٍ مما سواه مخلوق مربوب، وهو خالق كل شيء وربه ومليكه وإلٰهه، وكل شيءٍ تحت قهره وتدبيره وتسخيره وتقديره[4].

6 ـ وقال تعالى: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ﴾ [الرعد: 8] أي: بأجل، كحفظ أرزاق خلقه وآجالهم، وجعل لذلك أجلاً معلوماً[5].

---

(1) فتح البيان في مقاصد القرآن، تفسير، صديق حسن خان (7 / 375).
(2) تفسير ابن كثير (5 / 287).
(3) القضاء والقدر د. عبد الرحمن المحمود، ص: 51.
(4) صحيح تفسير ابن كثير (3 / 314).
(5) المصدر نفسه (2 / 492).

7 ـ وقال تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾﴾ [الحِجر: 21].

يخبر تعالى أنه مالك كل شيء، وأن كل شيءٍ سهل عليه يسير لديه، وأن عنده خزائن الأشياء من جميع الصنوف، ﴿وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ [الحِجر: 21] كما يشاء وكما يريد ولما له في ذلك من الحكمة البالغة والرحمة بعباده لا على جهة الوجوب بل هو كتب على نفسه الرحمة[1].

ـ وقال تعالى: ﴿نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [الواقِعَة: 60] أي: صرفناه بينكم ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾ [الواقِعَة: 60] أي: وما نحن بعاجزين[2].

ـ وقال تعالى: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِيٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ﴿١٠﴾﴾ [فُصِّلَت: 10].

ـ وقال تعالى: ﴿مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ﴿١٩﴾﴾ [عَبَسَ: 19] أي: قدر أجله ورزقه وعمله، شقي أو سعيد[3].

وغير ذلك من الآيات التي تدل على أن الله قدر كل شيء.

ثالثاً: القصص القرآني والإيمان بالقدر:

كان جميع الأنبياء والرسل ومن تبعهم معتقدين بعقيدة التوحيد

(1) صحيح تفسير ابن كثير (2 / 547).
(2) المصدر نفسه (4 / 362).
(3) المصدر السابق نفسه (4 / 595).

الخالصة الصحيحة، كما أوحى إليهم ربهم تبارك وتعالى، والإيمان بصفات الله تعالى، ومنها: العلم والقدرة والإرادة والخلق كلها داخلة في التوحيد الذي هو أساس دين الإسلام، وتحدث القرآن الكريم عن الأنبياء وغيرهم، وبين قولهم بالقدر، وبأن ما شاء الله كان، وما لم يشأ لا يكون[1].

1 ـ في قصة نوح عليه الصلاة والسلام: قال تعالى: ﴿قَالُوا۟ يَـٰنُوحُ قَدْ جَـٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِىٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ ۚ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [هود: 32 . 34].

فهم قالوا لنوح عليه السلام مستعجلين: يا نوح قد جادلتنا أي: حاججتنا فأكثرت من ذلك، ونحن لا نتبعك، فأتنا بما تعدنا من العذاب، فأجابهم نوح مبيناً أن الأمر كله بيد الله ﷻ، فهو الذي يأتيكم بالعذاب إن شاء، ثم بين نوح أيضاً أن نصحه لا ينفع إذا كان الله يريد إغواءهم، فإرادة الله غالبة، ومشيئته نافذة[2].

2 ـ وفي قصة إبراهيم عليه السلام مع ابنه إسماعيل ـ عليه الصلاة والسلام ـ لما أراد ذبحه بأمر الله، يقول: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَـٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَـٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾﴾ [الصّافات: 102] .

(1) القضاء والقدر، عبد الرحمن المحمود، ص: 126.
(2) تفسير ابن كثير (4 / 251 ـ 252)، تفسير السعدي (3 / 422).

وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ﴾ [الصَّافات: 102] أي: بلغ أن ينصرف معه ويعينه[1]، وفي هذا يكون في الغالب أحب ما يكون لوالديه، فرأى أبوه في المنام أن الله يأمره بذبحه، ورؤيا الأنبياء وحي، فقال الابن مستسلماً: ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾، فأخبر أنه موطِّن نفسه على الصبر، وقرن ذلك بمشيئة الله تعالى لأنه لا يكون شيء بدون مشيئة الله[2]. وهذا هو الشاهد.

3 ـ وفي قصة يوسف ـ عليه الصلاة والسلام ـ يقول الله تعالى: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا ۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [يُوسُف: 100].

﴿إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ۚ﴾ أي: إذا أراد أمراً قيض له أسباباً ويسره وقدره، إنه هو العليم بمصالح عباده، ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾: في أفعاله وأقواله، وقضائه وقدره، وما يختاره ويريده[3]، فيوسف عليه السلام كان مؤمناً أن ما جرى ويجري له ولغيره إنما هو بقضاء الله وقدره[4].

4 ـ وموسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ ذكر الله عنه إيمانه بأن الهداية والإضلال بيد الله، وهما تحت مشيئته، فقال تعالى في

(1) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة، ص: 273.
(2) تفسير السعدي (6 / 389).
تفسير غريب القرآن لابن قتيبة، ص: 273.
(3) تفسير ابن كثير (4 / 336)، القضاء والقدر عبد الرحمن المحمود، ص: 127.
(4) القضاء والقدر، عبد الرحمن المحمود، ص: 127.

معرض قصته: ﴿وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَٰتِنَا ۖ فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّٰىَ ۖ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ ۖ إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ ۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا ۖ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ ﴿١٥٥﴾﴾ [الأعراف: 155] فقوله: ﴿لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّٰىَ﴾ [الأعراف: 155] : أي لو شئت إهلاكنا لأهلكتنا بذنوبنا من قبل هذا الوقت، قال موسى اعترافاً بالذنب وتلهفاً على ما فرط من قومه، أو المعنى: لو شئت أهلكتهم وإياي من قبل خروجنا حتى يعاين بنو إسرائيل ذلك ولا يتهمونني، وهذا على أن ﴿لَوْ﴾ [الأعراف:155] للتمني. ثم قال: ﴿إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ﴾ [الأعراف: 155] : أي ما هو إلا اختبارك وامتحانك تضل بهما من تشاء وتهدي من تشاء، ولا هادي لمن أضللت، ولا مضل لمن هديت، فأنت وحدك لك الملك ولك الخلق والأمر[1]، فقول موسى هذا يدل على تصديقه وإيمانه بالقدر[2].

5 ـ وفي قصة موسى مع الشيخ الكبير حينما ورد ماء مدين يقول تعالى عن الشيخ: ﴿قَالَ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَىَّ هَٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِى ثَمَٰنِىَ حِجَجٍ ۖ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ ۖ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ ۚ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [القصص: 27] والشاهد قوله: ﴿سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [القَصَص: 27] أي: حسن الصحبة والوفاء، أو الصلاح العام ويدخل فيه صلاح المعاملة من باب أولى، وقيد ذلك بمشيئة الله تفويضاً

(1) زاد المسير لابن الجوزي (3 / 268 ـ 269).
(2) القضاء والقدر للمحمود، ص: 128.

للأمر إلى توفيق الله ومعونته[1].

6 ـ ويقول تعالى عن موسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ والخضر بعد أن بين له أنه لا يستطيع الصبر معه، فأجابه موسى كما قال الله: ﴿قَالَ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعۡصِي لَكَ أَمۡرٗا ٦٩﴾ [الكهف: 69].

سأصبر بمشيئة الله ولكن هل الاستثناء شامل قوله: ﴿وَلَآ أَعۡصِي لَكَ أَمۡرٗا﴾ [الكهف: 69] أولاً؟ قولان للمفسرين والأرجح شموله لهما[2]، قال في تفسير الجلالين ﴿قَالَ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعۡصِي لَكَ أَمۡرٗا ٦٩﴾ [الكهف: 69] أي: وغير عاصٍ ﴿لَكَ أَمۡرٗا﴾ تأمرني به، وقيد بالمشيئة لأنه لم يكن على ثقة من نفسه فيما التزم، وهذه عادة الأنبياء والأولياء ألا يثقوا إلى أنفسهم طرفة عين[3]. فتعليق الأمر بمشيئة الله تعالى دليل على إيمان موسى بأن أي شيء لا يكون إلا إذا أراده الله وشاءه، وقصة موسى والخضر كلها في باب القدر، وقد وردت بتمامها في صحيح البخاري، وقال ﷺ: **«يرحم الله موسى وددنا لو صبر حتى يقص علينا من أمرهما»**[4].

7 ـ وبعد أن خسف الله بقارون داره يقول تعالى عن قومه: ﴿وَأَصۡبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوۡاْ مَكَانَهُۥ بِٱلۡأَمۡسِ يَقُولُونَ وَيۡكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ وَيَقۡدِرۡۖ لَوۡلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا لَخَسَفَ بِنَاۖ وَيۡكَأَنَّهُۥ لَا

(1) فتح القدير للشوكاني (4 / 169).
(2) تفسير القرطبي (11 / 17)، القضاء والقدر للمحمود، ص: 129.
(3) تفسير الجلالين: حاشية الجمل الفتوحات الإلٰهية (3 / 37).
(4) البخاري، ك العلم، فتح الباري(1 / 317).

﴿يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [القَصَص: 82] .

فقوله ﴿يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ﴾ [القَصَص: 82] لبعض عباده ويُضيّقه على بعضهم فله الأمر، يفعل ما يشاء ﷻ[1].

8 ـ ويقول تعالى عن زكريا ومريم: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾﴾ [آل عِمرَان: 37] .

فقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عِمرَان: 37] : الراجح أنه من كلام مريم، وهو يفيد التقرير بأن الله قد يرزق عباده بغير حساب، وأن ذلك مرتبط بمشيئته سبحانه[2].

9 ـ وفي قصة الرجل صاحب الجنتين، يقول تعالى عن صاحبه أنه قال له وهو يحاوره: ﴿وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾﴾ [الكهف: 39] أي: هلا قلت عندما دخلتها: ﴿مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الكهف: 39] ، أي الأمر بمشيئة الله، وما شاء الله كان، فترد أمر جنتك من الحسن والنضارة لخالقه سبحانه، ولا تفتخر به لأنه ليس من عملك وصنعك ﴿لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ [الكهف: 39] أي: وهلا قلت: ﴿لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ [الكهف: 39] ، معترفاً بأنها وما فيها بمشيئة الله ـ تعالى ـ إن شاء أبقاها، وإن شاء أفناها، وأنك عاجز عنها، وعن غيرها لولا معونة الله[3].

(1) تفسير السعدي (6 / 61)، القضاء والقدر، ص: 130.
(2) القضاء والقدر، د. عبد الرحمن المحمود، ص: 131.
(3) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان (5/ 454).

10 . والجن يذكر تعالى أنهم قالوا: ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِيٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾﴾ [الجنّ: 10] فهم بعد أن منعوا من استراق السمع جزموا أن الله أراد أن يحدث في الأرض حادثاً كبيراً من خير أو شر، فقالوا: ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِيٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾﴾ [الجنّ: 10] ، فهم مؤمنون بأن الله له الإرادة المطلقة، وقد كانوا مؤدبين فقد أضافوا الخير إلى الله تعالى والشر حذفوا فاعله تأدباً[1].

إن الإيمان بالقدر داخل ضمناً في الإيمان بالله، بل هو جزء حقيقي منه لأن معناه، الإيمان بإحاطة علم الله تعالى بكل شيء وشمول إرادته لكل ما يقع في الكون، ونفوذ قدرته في كل شيء. والإيمان بالقدر، الذي جاء به الإسلام هو إيمان بمقتضى الكمال الإلٰهي الذي تميزت به عقيدة الإسلام، وصححت به أوهام الفلسفات، وانحراف الديانات في شأن الألوهية، فليس الإلٰه في الإسلام إلٰهاً معزولاً عما يجري في الكون لا يعلمه ولا يتدخل فيه بتدبير ولا تصريف كـ«إلٰه أرسطو» الذي لا يعرف إلا ذاته، ولا يعلم عن هذا الكون شيئاً، ولا يدبر فيه أمراً، أو «إلٰه أفلوطين» الذي لا يعلم ذاته نفسها وليس كـ«إلٰه المجوس» الذي له نصف الكون يدبره ويتصرف فيه، وهو ما يتعلق بالخير والنور، أما النصف الآخر وهو ما يتصل بالشر والظلمة، فذلك من شأن إلٰه آخر، فهما إلٰهان إذن: أحدهما إلٰه الخير والنور، والآخر إلٰه الشر والظلمة والحرب بينهما سجال حتى ينتصر إلٰه الخير في النهاية وليس هو كـ«آلهة اليونان» التي تخبط في تصرفاتها خبط عشواء والتي تعيش في حرب مع البشر،

(1) تفسير ابن كثير (8/ 267)، القضاء والقدر د. عبد الرحمن المحمود، ص: 131.

حتى إن رواياتهم عن القدر وضرباته للناس تمثله هازئاً بهم، متحدياً لهم، يطاردهم ويتجنى عليهم، ولهذا كثر الحديث في أدبهم عن قسوة القدر، وعن القدر الأعمى، والقدر الغاشم ونحو ذلك، وليس كـ«إله بني إسرائيل» الذي تصوره توراتهم المحرفة، وكتبهم واساطيرهم، غيوراً منتقماً مدمراً، متعصباً لشعب إسرائيل دون العالمين، خائفاً من الإنسان أن يأكل من شجرة الحياة، فيصبح كواحد من الآلهة، نادماً على ما يفعله في بعض الأحيان عاجزاً عن مقاومة الإنسان، حتى إن إسرائيل ليصارعه فيصرعه[1]، ليس هذا الذي تتصوره أو تصوره الديانات والفلسفات هو إله الإسلام، إنما الإله في الإسلام هو مالك الملك، وصاحب الخلق والأمر، رب العالمين، هو خالق كل شيء عن قبضة قهره، ولا حي أو جماد عن دائرة سلطانه، يحكم ما يريد، ويفعل ما يشاء، ولا يخفي عليه شيء في الأرض ولا في السماء وهو مع هذا بر كريم، عدل رحيم، عليم حكيم، لا يظلم أحداً، ولا يأخذ مخلوقاً بذنب غيره، ولا يبخسه أجر سعيه، فلا يخاف أحد عنده ظلماً ولا هضماً، والظلم: أن يعاقبه بما لم يفعل والهضم: أن يضيع أجر ما قد عمل، والله سبحانه لا يعاقب بغير سيئة ولا يضيع أجر حسنة، بل يضاعفها كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: 40].

هذا هو الإله الذي يجري كل شيء في الكون بتقديره وتدبيره بعلمه ومشيئته ومقتضى حكمته، وعلى هذا الأساس كان إيمان السلف بالقدر من الصحابة، ومن تبعهم بإحسان، فليس الإيمان بالقدر إيماناً بالبخت والمصادفات والعشوائية في الكون، كهؤلاء

(1) الإيمان بالقدر للقرضاوي، ص: 10.

الذين ينقلون إلى العربية التغييرات اليونانية والغربية عن القدر فتراهم يقولون: القدر الأعمى، والقدر الأحمق، والقدر الغاشم، وعبث الأقدار ونحوها، وهي ألفاظ وتعبيرات يبرأ منها الإسلام والمسلمون، إنما هو إيمان بإحاطة علم الله وعموم مشيئته وشمول قدرته، وربوبيته لكل ما في الكون وإن كل ما يحدث في الوجود إنما يتم بناء على ترتيب أو تصميم سابق، وتدبير قدير، وتقدير عزيز عليم[1].

رابعاً: الأدلة من السنة النبوية على وجوب الإيمان بالقدر:

دلت نصوص السنة على وجوب الإيمان بالقضاء والقدر، والأحاديث الواردة في ذلك كثيرة جداً، ولكن نعرض لبعضها وسنبين البعض الآخر في الأدلة التفصيلية عند الحديث على مراتب القدر. ومن هذه الأحاديث:

1 ـ حديث جبريل المشهور برواياته المختلفة، فقد قال ﷺ: **«الإيمان: أن تؤمن بالله وملائكته ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره»**[2].

2 ـ حديث جابر بن عبد الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا يؤمن عبد حتى يؤمن بالقدر خيره وشره من الله، وحتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه»**[3].

3 ـ حديث علي ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا يؤمن عبد حتى يؤمن بأربع: يشهد أن لا إله إلا الله وأني محمد رسول الله**

(1) الإيمان بالقدر للقرضاوي، ص: 11.
(2) مسلم، ك الإيمان رقم 8.
(3) سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني رقم 2439.

بعثني بالحق، ويؤمن بالموت، وبالبعث بعد الموت، ويؤمن بالقدر»[1].

فالمراد بالحديث نفي أصل الإيمان عمن لم يؤمن بهذه الأربع: شهادة أن لا إله إلا الله، وشهادة أن محمداً رسول الله، ويؤمن بالموت: أي فناء الدنيا، أو المراد: اعتقاد أن الموت يحصل بأمر الله لا بفساد المزاج كما يقول الطبائعيون، ويؤمن بالبعث بعد الموت، ويؤمن بالقدر وأن كل ما يجري بقدر الله. تعالى. وقضائه[2]، ونفي أصل الإيمان عمن لم يؤمن بهذه الأمور يدل على وجوب الإيمان بها.

4 ـ حديث طاوس، قال: أدركت أناساً من أصحاب رسول الله ﷺ يقول: كل شيء بقدر، قال وسمعت عبد الله بن عمر ﷺ يقول: قال رسول الله ﷺ: «**كل شيء بقدر حتى العجز والكيس أو الكيس والعجز**»[3].

5 ـ وعن أبي هريرة ﷺ قال: جاء مشركو قريش يخاصمون رسول الله ﷺ في القدر فنزلت: ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾ [القمر: 48، 49][4].

6 ـ وقد ورد عن النبي ﷺ التحذير من التكذيب بالقدر، وذلك في الحديث الذي رواه أبو الدرداء ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: «**لا**

(1) صحيح الترمذي للألباني رقم 2246.
(2) تحفة الأحوذي للمباركفوري (3/ 201).
(3) مسلم، ك القدر رقم 2655.
(4) سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم 675.

يدخل الجنة عاق ولا مدمن خمر، ولا مكذب بقدر»[1].

خامساً: وصايا نبوية لتدريب النفس على الرضا بالقضاء والقدر:

كان الرسول ﷺ مربياً ومزكياً لنفوس أصحابه، وهي المهمة التي شرفه الله سبحانه بها، وتتجلى هذه التزكية، بأوضح صورها من خلال هذه الوصايا الثلاثة التي تُعد بحق نماذج العلاج النبوي لأمراض النفوس وتدريبها عملياً على التسليم لقضاء الله وقدره والرضا به.

الوصية الأولى:

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كلٍ خير، أحرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت كان كذا وكذا، ولكن قل: قدّر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان**»[2].

وفي هذا الحديث النبوي يبين الرسول ﷺ من أن من أراد نيل محبة الله ورضوانه فعليه أن يبادر إلى تقوية إيمانه ومجاهدة نفسه، وطلب القوة في العلم والجسم، وغير ذلك من عناصر القوة النافعة التي تتضافر جميعها لتكوين شخصية المسلم الذي يحبه الله سبحانه،

(1) منهج الإسلام في تزكية النفس (1 / 158).
(2) مسلم، ك القدر رقم 2664.

ولكي يحظى المسلم بذلك فلا بد له من الأخذ بالوصايا النبوية الواردة في هذا الحديث: وهي أن يحرص على ما ينفعه ويطلب العون من الله سبحانه ولا يعجز، وأن يسلم أمره لله فيما قدّر له فلا يسخط ولا يشتكي من المصائب ولا يدع للشيطان مدخلاً يقوله: «لو أني فعلت كذا وكذا» فكلمة «لو» تجلب الحسرة والأسى، وتزيد اللوعة وتورث القلق والاضطراب، ولن يستطيع إعادة ما فات ولا إحياء من مات مهما تحسر، وإنما سيجلب لنفسه الكآبة ولجسمه الأمراض والآلام ويتعرض لغضب الله، باعتراضه على قدره، فالعلاج العملي أن يقول: «قدّر الله وما شاء فعل»، مُعلِناً استسلامه لأمر الله ورضاه بقضائه وأن يعوّد لسانه على هذا القول كلما ناله شيء يكرهه[1].

الوصية الثانية: دعاء الاستخارة:

عن جابر بن عبد الله ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ: «**يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها كالسورة من القرآن، يقول: إذا همَّ أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة، ثم ليقل: اللّهم إني أستخريك بعلمك وأستقدرك بقدرتك، وأسألك من فضلك العظيم، فإنك تقدر ولا أقدر، وتعلم ولا أعلم، وأنت علام الغيوب.**

اللّهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خيرٌ لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري، أو قال: عاجل أمري وآجله، **فاقدره لي، وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شرٌ لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري**، أو قال: عاجل أمري وآجله، **فاصرفه عني واصرفني عنه، واقدر لي الخير**

(1) منهج الإسلام في تزكية النفس (1 / 160).

حيث كان، ثم أرضني به، ويسمي حاجته»[1].

وهذه الوصية النبوية تعد تدريباً عملياً على توطين النفس ورضاها بالقضاء والقدر، وتسليمها لما يقدر الله، اعتقاداً بأن ذلك هو الأصلح، والأنفع للعبد، فإذا همَّ المسلم بأمر من الأمور المباحة، من سفر أو زواج، أو تجارة أو غير ذلك فعليه أن يبادر إلى العمل بهذه الوصية النبوية، فيدعو بدعاء الاستخارة متذللاً أمام ربه، متواضعاً بين يديه، مستسلماً لأمره، راضياً بحكمه، داعياً أن يختار الله له ما فيه الخير في دينه ومعاشه وعاقبة أمره، وأن يصرف عنه هذا الأمر إن كان فيه شر، ثم يعزم على هذا الأمر، فإن انشرح صدره له، ويسر الله طريقه، وهو الخير الذي اختاره الله، وإن جاء الأمر على عكس ذلك، فعليه أن يفرح، لأن الله صرف عنه شراً واختار له ما يصلحه، ولو لم يدرك الحكمة فلتطمئن نفسه ولا يبقى متعلقاً بهذا الأمر، أو قلقاً من أجله، وبهذه الوصية النبوية، يدرب المسلم نفسه عملياً على الرضا بقضاء الله، والتسليم لأمره، ويجاهد نفسه على مخالفة هواها ويربيها على الالتزام بأمر الله، لأن في ذلك صلاح دنياه وآخرته[2].

روى الأعمش عن مسعود ﷺ قال: إن العبد ليهم بالأمر من التجارة والإمارة حتى يتيسر له، نظر إليه الله من فوق سبع سماوات، فيقول للملائكة: اصرفوه عنه فإني إن يسرته له أدخلته النار، قال: فيصرفه الله عنه، قال: فيقول: من أين دُهيت؟ وما هو إلا فضل الله سبحانه.

---

(1) البخاري، ك الدعوات باب دعاء الاستخارة (7 / 162).
(2) منهج الإسلام في تزكية النفس (1 / 161).

ولذلك كان الرسول ﷺ يهتم كثيراً بدعاء الاستخارة ليعلمه لأصحابه، كما يعلمه السورة من القرآن، وهذا دليل على غاية الاهتمام به، والحرص عليه[1].

الوصية الثالثة:

قال رسول الله ﷺ: «**انظروا إلى من هو أسفل منكم، ولا تنظروا إلى من هو فوقكم فهو أجدر أن تزدروا نعمة الله عليكم**»[2].
وفي رواية البخاري: «**إذا نظر أحدكم إلى من فُضل عليه في المال والخلق، فلينظر إلى من هو أسفل منه ممن فُضل عليه**»[3].

وفي هذا الحديث دواء لداء الحسد والتشكي من الأقدار، فالنفس التي تتطلع إلى الآخرين لن ترضى بحالٍ من الأحوال كلما بلغت درجة من الغنى والجاه تعودتها فملتها وتطلعت إلى المزيد، فهي دائماً في تلهف إلى كثرة المال وتعلق به وسخط وحسرة وازدراء للنعم، وجحود للمنعم، وهذا مصداق قول الرسول ﷺ: «**لو أن لابن آدم وادياً من ذهب أحب أن يكون له واديان، ولن يملأ فاه إلا التراب، ويتوب الله على من تاب**»[4].

فإذا اتبع المسلم هذه الوصية النبوية فإنه سيعرف قدر النعمة ويرضى بما قسم الله له، وينال القناعة، ويحظى بالسعادة ولو كان مبتلى بالفقر أو المرض أو المصائب المختلفة، لأنه إن كان فقيراً لا

(1) المصدر نفسه (1 / 161).
(2) مسلم، ك الزهد رقم 2963.
(3) البخاري، ك الرقاق (7 / 187).
(4) رواه البخاري، ك الرقاق (7 / 175).

يملك وفرة من المال فلينظر إلى من ابتلى بالفقر المدقع والجوع الشديد، وإن كان مريضاً يشكو من بعض الآلام فلينظر إلى من ابتلي بعاهة أو مرض مزمن خطير، وهكذا يبقى دائماً مقدراً للنعمة راضياً بما قسم الله له شاكراً صابراً، ولو أخذ المسلمون اليوم بهذه الوصية النبوية لسعدت أحوالهم، واستقامت أوضاعهم، وعرفوا الثمرة الحقيقية للإيمان بالقضاء والقدر، وسارعوا إلى التنافس في التقوى والعمل الصالح والتقرب إلى الله عوضاً عن التنافس على حطام الدنيا الزائل[1].

نهي الرسول صلى الله عليه عن الخوض في القدر:

- عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: خرج رسول الله ﷺ ولم ذات يوم والناس يتكلمون في القدر، قال: وكأنما تفقأ في وجهه حب الرمان من الغضب، قال: فقال لهم: **«ما لكم تضربون كتاب الله بعضه ببعض؟ بهذا هلك من كان قبلكم»**[2].

وعن ثوبان ﷺ عن النبي ﷺ قال: **«إذا ذكر أصحابي فأمسكوا، وإذا ذكرت النجوم فأمسكوا، وإذا ذكر القدر فأمسكوا»**[3].

وروى أبو هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال للصحابة لما تنازعوا في القدر: **«عزمت عليكم أن تنازعوا فيه»**[4]، وقد اختلف العلماء في توجيه هذه الأحاديث:

---

(1) منهج الإسلام في تزكية النفس (1 / 163).
(2) رواه ابن ماجه في المقدمة رقم 85، وحسنه محقق جامع الأصول.
(3) مجمع الزوائد (7 / 202)، صححه الألباني في الصحيح الجامع.
(4) سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم 34.

أ ـ فبعضهم رأى ثبوتها، واستدل بها على وجوب الوقف على الخوض والكلام في القدر، وقال: إن هذا أحسن المذاهب لمن آثر الخلاص والسلامة[1].

ب ـ وبعضهم رد هذه الأحاديث، وقال: إن أسانيدها كلها لا تخلو من مقال، فهي إذن ضعيفة لا يحتج بها[2].

ج ـ والذي نرجحه أنها ثابتة، وأقل ما فيها أنها حسنة، لأن لها طرقاً يقوي بعضها بعضاً، وحينئذ فالجواب عنها كما يلي:

ـ إن المنهي عنه إنما هو الخوض فيها بالباطل، وذلك بالخوض في كل ما يتعلق بالقدر، ومحاولة معرفة وجه الحق فيه عن طريق العقل القاصر، ولا شك أن هذا لا يجوز.

ـ والقدر ركن من أركان الإسلام، وقد وردت فيه الآيات والأحاديث عن النبي ﷺ، فكيف يأتي النهي عن الكلام فيه؟ إنّ هذا دليل على أن النهي إنما هو منصب على الخوض فيه على وجه التنازع والاعتراض على الله ـ تعالى ـ لا وجه المعرفة الصادقة من الأدلة الصحيحة.

ـ وفي الأحاديث نفسها ما يدل على ذلك، ألا وهو قوله: «**إذا ذكر أصحابي فأمسكوا**» فهل معناه الإمساك عن ذكر الصحابة وفضائلهم وجهادهم؟ أم أن النهي منصب على شيء معين؟ وهو الإمساك عن ذكرهم بالباطل، وعما شجر بينهم ـ رضوان الله عليهم

(1) القضاء والقدر د. عبد الرحمن المحمود، ص: 25.
(2) المصدر نفسه، ص: 25.

جميعاً . وكذلك يقال في القدر.

ـ والرسول ﷺ نهى الصحابة عن التنازع في القدر، وهذا حق؟ لأن التنازع مظنة الاختلاف، وهذا داع إلى القول فيه بغير الحق، وهو منهي عنه، وإلا فالقدر من أركان الإيمان، ولا بد من معرفة هذا الركن بالتفصيل كما جاء في الكتاب والسنة وأقوال السلف، حتى يتحقق الإيمان، وحتى يثمر ثماره المرجوة.

ـ وعلماء السلف الذين ذكروا القدر، وبحثوا فيه، بل ألفوا رسائل وكتباً مستقلة، هل معناه أنهم خالفوا أمر رسول الله ﷺ؟ وإذا كانت ترد حوله بعض الإشكالات، ألا يجب بيان الحق للناس حتى لا يضلوا؟ وحتى لا يكونوا على بصيرة من أمر دينهم؟

ـ أما ما يؤثر عن بعض العلماء من أن القدر سر لله في خلقه، وهذا صحيح يجب إدراكه لكل من يبحث في القدر، لكن هذا محصور في الجانب الخفي من القدر، ألا وهو كونه ﷻ أضل وهدى، وأمات وأحيا، ومنع وأعطى، وقسم ذلك بين عباده بقدرته ومشيئته النافذة، فمحاولة معرفة سر الله في ذلك لا تجوز، لأن الله حجب علمها حتى عن أقرب المقربين، أما جوانب القدر الأخرى وحكمه العظيمة، ومراتبه ودرجاته وآثاره، فهذا مما يجوز الخوض فيه، وبيان الحق للناس فيه، بل بيانه مما يندب إليه وينبغي شرحه وإيضاحه للناس، إذ الإيمان بالقدر أحد أركان الإيمان التي ينبغي تعلمها ومعرفتها[1].

(1) القضاء والقدر د. عبد الرحمن المحمود، ص: 27.

سادساً: في عهد الخلفاء الراشدين:

كان أمر العقائد في عهد الخلفاء الراشدين ـ رضوان الله عليهم ـ على ما كان عليه في عهد رسول الله ﷺ من سلامة العقيدة، والتسليم لله ورسوله في كل أمر وعدم الجدال والخوض فيما خاض فيه من بعدهم، وبالنسبة لعقيدة القضاء والقدر، كان موقف الصحابة والتابعين التسليم والإيمان به على الوجه الحق، كما بينه لهم رسول الله ﷺ ولم يكن يبدر منهم شيء إلا كما بدر من بعضهم في عهد الرسول ﷺ وسرعان ما يزول الالتباس بالإيمان القوي بعد البيان والإيضاح[1]، ومن أقوال الصحابة في القضاء والقدر:

1 ـ أبو بكر رضي الله عنه:

قال أبو بكر رضي الله عنه: خلق الله الخلق فكانوا في قبضته فقال لمن في يمينه: ادخلوا الجنة بسلام وقال لمن في يده الأخرى: ادخلوا النار ولا أبالي فذهبت إلى يوم القيامة[2].

2 ـ عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

خرج عمر بن الخطاب رضي الله عنه من المدينة إلى الشام ومعه جمهور المهاجرين والأنصار حتى قدم دمشق، فوقع بالشام طاعون فخاف عمر أن يقدم بأصحاب رسول الله ﷺ، واستشار الصحابة في ذلك ممن معه من المهاجرين والأنصار ومن كان بالشام فقيهاً، فاختلفوا عليه حتى جاء عبد الرحمن بن عوف فروى له عن النبي ﷺ: «**إذا**

(1) شرح أصول واعتقاد أهل السنة للالكائي (4 / 734).
(2) القضاء والقدر للمحمود، ص: 154.

سمعتم به بأرض قوم فلا تقدموا عليه وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فراراً منه». فحمد الله عمر ثم انصرف فخطبهم على باب الجابية[1]، ليقص عليهم ويعرفهم سبب انصرافهم فقال في خطبته كما أنزل الله في كتابه وأمر رسوله استفتاح الخطيب بها: من يضلل الله فلا هادي له ومن يهدي فلا مضل له، فقال جاثليق[2] النصارى: إن الله لا يضل أحداً مرتين أو ثلاثاً فأنكر الصحابة ذلك عليه مرتين:

فقال عمر لأصحاب رسول الله ﷺ ما يقول؟

قالوا: يا أمير المؤمنين يزعم أن الله لا يضل أحداً. فقال عمر: كذبت بل الله خلقك والله أضلك ثم يميتك فيدخلك النار إن شاء الله، أما والله لولا عهد لك لضربت عنقك وتفرق الناس وما يختلف في القدر اثنان[3].

وعن عبد الله بن عباس أن عمر بن الخطاب ﷺ خرج إلى الشام حتى إذا كان بَسْرغ[4] لقيه أمراء الأجناد أبو عبيدة وأصحابه، فأخبروه أن الوباء وقع بالشام. قال ابن عباس: فقال عمر: ادع المهاجرين الأولين فدعاهم فاستشارهم فأخبرهم أن الوباء قد وقع في الشام فاختلفوا في الأمر، فقال بعضهم: خرجت لأمر ولا نرى أن ترجع عنه.

وقال آخرون: إن معك بقية الناس وأصحاب رسول الله ﷺ لا

(1) الجابية قرية من أعمال دمشق.
(2) جاثليق: لعلها رتبة دينية عند النصارى.
(3) شرح أصول اعتقاد أهل السنة (4 / 726).
(4) سرغ: قرية بوادي تبوك في أرض الجزيرة.

نرى أن تقدمهم على هذا الوباء.

فقال عمر: ارتفعوا عني:

ثم قال: ادع لي الأنصار. فدعوهم. له، فاستشارهم فسلكوا سبيل المهاجرين واختلفوا كاختلافهم.

فقال: ارتفعوا عني.

ثم قال: ادع لي من كان هاهنا من مشيخة قريش من مهاجرة الفتح فدعوا له فاستشارهم فلم يختلف عليه منهم رجلان قالوا: نرى أن ترجع بالناس ولا تقدمهم على هذا الوباء، فأذن عمر بالناس: إني مصبّح على ظهر فأصبحوا عليه. قال أبو عبيدة: يا أمير المؤمنين أفراراً من قدر الله؟ قال عمر: لو غيرك قالها يا أبا عبيدة؟ نعم نفر من قدر الله ﷻ إلى قدر الله، أرأيت لو كان لك إبل فهبطت بها وادياً له عدوتان[1] إحداهما: خصبة والأخرى جدبة أليس إن رعيت الخصبة رعيتها بقدر الله؟ وإن رعيت الجدبة رعيتها بقدر الله؟

قال: فجاء عبد الرحمن بن عوف وكان متغيباً في بعض حاجته فقال: إن عندي من هذا علماً، سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فراراً منه»**، قال: فحمد الله عمر ثم انصرف[2].

(1) ثنية عدوى: وهو جانب من الوادي وحافته.
(2) البخاري رقم 5729 ، 5730.

وقال أبو عثمان النهدي سمعت عمر بن الخطاب. وهو يطوف بالبيت. يقول: اللّهم إن كنت كتبتني في السعادة فاثبتني فيها وإن كنت كتبتني على الشقوة فامحني منها واثبتني في السعادة فإنك تمحو ما تشاء وتثبت وعندك أم الكتاب[1].

3. علي بن أبي طالب ﷺ:

خطب علي بن أبي طالب فقال: ما يمنعه أن يقوم. فيخضب هذه من هذا. قالوا: يا أمير المؤمنين أما إذ عرفته فأرنا نبير عترته فقال: أنشد الله رجلاً قتل لي غير قاتلي.

قالوا: فأوصنا قال: أكلكم إلى ما وكلكم الله ورسوله إليه. قالوا: فما تقول لربك إذا قدمت عليه؟ قال: أقول كنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم حتى توفيتني وهم عبادك إن شئت أصلحتهم وإن شئت أفسدتهم[2].

وقال: إن أحدكم لن يخلص الإيمان إلى قلبه حتى يستيقن يقيناً غير ظن أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه ويقر بالقدر كله[3]. وقال علي بن أبي طالب ﷺ: إن القدر لا يرد القضاء ولكن الدعاء يرد القضاء[4]، قال الله لقوم يونس: ﴿لَمَّآ ءَامَنُوا۟ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [يونس: 98].

(1) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (4/ 735).
(2) المصدر نفسه (4/ 736).
(3) المصدر السابق نفسه (4 / 738).
(4) المصدر السابق نفسه (4/ 737، 738).

4 . عبد الله بن مسعود ﷺ:

قال عبد الله بن مسعود ﷺ: لا والله لا يطعم رجل طعم الإيمان حتى يؤمن بالقدر ويقر ويعلم أنه ميت وأنه مبعوث من بعد الموت[1].

وقال ﷺ: أصدق الحديث كتاب الله وأحسن الهدي هدي محمد، وشرّ الأمور محدثاتها، فاتبعوا ولا تبتدعوا، فإن الشقي في بطن أمه والسعيد من وعظ بغيره[2]

5 . عبد الله بن عباس ﷺ:

عن ابن طاووس عن أبيه قال: أشهد لسمعت ابن عباس يقول: العجز والكيس بقدر[3]، قال ابن عباس: إن الله ﷻ كان على عرشه قبل أن يخلق شيئاً فخلق القلم فكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة فإنما يجري الناس على أمر قد فرغ منه[4]، وقال ابن عباس: القدر نظام التوحيد فمن وحد الله ولم يؤمن بالقدر كان كفره بالقضاء نقضاً للتوحيد، ومن وحد الله وآمن بالقدر كان العروة الوثقى لا انفصام لها[5].

وعن عطاء بن أبي رباح قال: كنت عند ابن عباس فجاءه رجل

(1) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (4 / 739).
(2) المصدر نفسه (4 / 738)
(3) المصدر نفسه (4/ 741).
(4) المصدر نفسه (4 / 742).
(5) المصدر نفسه (4 / 742).

فقال: يا أبا العباس أرأيت من صدني عن الهدى وأوردني الضلالة والردى ألا تراه قد ظلمني؟ قال: إن الهدى إن كان شيئاً لك عنده فمنعكاه فقد ظلمك وإن كان هو له يؤتيه من يشاء فلم يظلمك. قم لا تجالسني[1]. عن ابن عباس قال: كان الهدهد يدل سليمان على الماء، وقلت له: كيف ذاك والهدهد ينصب له الفخ عليه التراب؟ فقال: أعضك الله بهن أبيك، ألم يكن إذا جاء القضاء ذهب البصر[2].

6 . عبد الله بن عمر ﷺ :

عن يحيى بن يعمر قال: قلت لابن عمر: إنا نسافر فنلقى قوماً يقولون: لا قدر، قال: إذا لقيت أولئك فأخبرهم أن ابن عمر منهم بريء، وهم براء . ثلاث مرات[3].

7 . أبيّ بن كعب ﷺ:

عن ابن الديلمي قال: أتيت أبيّ بن كعب فقلت: أبا المنذر فإنه وقع في قلبي شيء من هذا القدر فحدثني بشيء لعل الله أن يذهبه عني، فقال: إن الله ﷻ لو عذب أهل سماواته وأهل أرضه لعذبهم غير ظالم لهم، ولو رحمهم كانت رحمته لهم خيراً لهم من أعمالهم، ولو أنفقت مثل أحد ذهباً في سبيل الله ما قبل منك حتى تؤمن بالقدر، وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وأن ما أخطأك لم يكن ليصيبك، وإن مت على غير ذلك دخلت النار. قال: ثم

(1) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (4 / 743).
(2) المصدر نفسه (4 / 743).
(3) المصدر نفسه (4 / 744).

أتيت ابن مسعود فحدثني بمثل ذلك ثم أتيت ابن ثابت فحدثني بمثل ذلك عن النبي ﷺ[1].

8 . عبادة بن الصامت ﷺ:

عن عبادة قال له ابنه عبد الرحمن: يا عبادة أوصني، قال: أجلسوني، فأجلسوه، ثم قال: يا بني اتق الله ولن تتق الله حتى تؤمن بالقدر ولن تؤمن بالقدر حتى تؤمن بالقدر خيره وشره، وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك[2].

9 . الحسن بن علي بن أبي طالب ﷺ:

قال الحسن بن علي: قضي القضاء وجف القلم وأمور بقضاء في كتاب قد خلا[3].

10 . عمرو بن العاص ﷺ:

قال عمرو بن العاص: انتهى عجبي إلى ثلاث: المرء يفر من القدر وهو لاقيه، ويرى في عين أخيه القذا فيعيبها ويكون في عينه مثل الجذع فلا يعيبها، ويكون في دابته «الصعر» ويقومها جهده ويكون في نفسه الصعر، فلا يقومها[4].

11 . أبو الدرداء ﷺ:

قال أبو الدرداء: ذروة الإيمان أربع: الصبر للحكم والرضا

(1) شرح اعتقاد أهل السنة والجماعة (4 / 745).
(2) المصدر نفسه (4 / 746).
(3) المصدر نفسه (4 / 746).
(4) المصدر نفسه (4/ 747).

بالقدر والإخلاص للتوكل والاستسلام للرب[1].

ولا بد هنا من البيان أن تقسيم القدر إلى خير وشر، إنما هو بإضافته إلى الناس والمخلوقات، أما بالنسبة لله ﷻ، فالقدر كله خير وحكمة وعدل ورحمة من الله سبحانه الذي قضى بتقدير المصائب والبلايا وكل ما يكرهه الإنسان لحكم كثيرة من أبرزها:

- الابتلاء لعباده: واختبارهم وتمحيص الإيمان في قلوبهم وزيادة درجاتهم وثوابهم إذا صبروا، قال تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء: 35] والمقصود بالفتنة هنا الاختبار وقال سبحانه: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝٣﴾ [العنكبوت: 2 ـ 3].

- التربية والتأديب: والجزاء المعجل لكي يثوب الإنسان إلى رشده، ويرجع عن خطئه[2]، قال تعالى: ﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُواْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [النحل: 34].

وعن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«إذا أراد الله بعبده خيراً عجل له العقوبة في الدنيا، وإذا أراد الله بعبده الشر أمسك عنه بذنبه حتى يوافي به يوم القيامة»**[3].

ما يصيب الإنسان إن كان يسره فهو نعمة بينه، وإن يسوؤه فهو

(1) شرح اعتقاد أهل السنة والجماعة (4/ 749).
(2) منهج الإسلام في تزكية النفس (1 / 152).
(3) سنن الترمذي رقم 2396 حديث حسن غريب.

نعمة، لأنه يكفر خطاياه، ويثاب عليه بالصبر، ومن جهة إن فيه حكمة ورحمة لا يعلمها العبد، قال تعالى: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ﴾ [البَقَرَة: 216] وكلتا النعمتين تحتاج مع الشكر إلى صبر[1]. والمقصود أن الله تعالى منعم بهذا كله، وإن كان لا يظهر في الابتداء لأكثر الناس، فإن الله يعلم وأنتم لا تعلمون[2].

وفي بيان قوله تعالى: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ۚ﴾ [النِّساء: 79] نلاحظ: فرّق ﷻ بين الحسنات التي هي النعم، وبين السيئات التي هي المصائب، فجعل هذه من الله وهذه من نفس الإنسان، لأن الحسنة مضافة إلى الله، إذ هو أحسن بها من كل وجه.. أما السيئة فهو إنما يخلقها لحكمة، وهي باعتبار تلك الحكمة من إحسانه فإن الرب لا يفعل سيئة قط بل فعله كله حسن وخير[3].

(1) مجموع الفتاوى (8/ 209. 210).
(2) منهج الإسلام في تزكية النفس (1/ 153).
(3) المصدر نفسه (1/ 154).